تمهيد

ما الدليل الذي يُعزِّز ممارسة معيَّنة؟ هل أُسِّس هذا الدليل على قاعدة بحثية صلبة؟

يُمثِّل هذان السؤلان بعضاً من الأسئلة التي يتعيَّن علينا طرحها على أنفسنا ونحن ننظر إلى أفضل السبل لتربية الطلاب الموهوبين والنابغين ودعمهم. إلّا أنّ واقع الحال يُظهِر خلاف ذلك؛ إذ يعمد العديد من خبراء التربية والتعليم إلى تبنّي كثير من البرامج والمناهج والممارسات من دون اهتمام بالأدلة التي تُثبِت صحتها وتؤكِّدها. ونتيجة لذلك؛ برز اختلاف وتضارب في الآراء حـول ما ينبغي عملـه، فرأي شخص واحد في غياب البرهان مثل عدمه؛ لأنه في غياب الدليل، يصبح رأي الشخص لا قيمة له.

لحسـن الطالع، فقد أتاح صدور هذا الكتاب لنـا فرصة النظر في كثير من الممارسات الشائعـة التي يتعرّض لها العديد من الطلاب الموهوبين والنابغين. وقد اضطلع الموجِّهون- بدعم من أحد فرق الخبراء في مجال تعليم الموهوبين - بتنفيذ المهمة الكبيرة المتمثِّلة في تحديد الممارسات التي يتعرّض لها هؤلاء الطلاب، وأتْبَعوا ذلك بتحليل البحوث التي تُحسِّن هـذه الممارسـات، وهذا أمر شاقّ جدّاً. نجح هؤلاء الموجِّهون أيضاً في تلخيص البحوث على نحوٍ يَسْهُل على القارئ العادي فهمه؛ حتى يتسنّى للجميع الإفادة من النتائج في اتخاذ القرارات المتعلقة بأفضل الطرائق لدعم الطلاب الموهوبين والنابغين.

وتأسيسـاً على ما سبق، اطرح على نفسك الأسئلة الآتية: هل يُعَدّ البرهان على ممارسة معيَّنة أمراً مقنعاً؟ هل نعرف ما يكفي عن هذه الممارسة لتطبيقها على أطفالنا؟ هل البحوث المقدَّمة رصينة ومقنعة؟

يُمثِّـل هذا الكتاب نقطـة بداية مفيدة لهذه النقاشات، وهو كفيل بمساعدتنا جميعاً على تصميم برامج أفضل وأكثر فاعلية للطلاب الموهوبين والنابغين.

بات أوكونيل روس

وزارة التعليم الأمريكية

Pat O'Connell Ross

.indd 7 5/7/14 5:04 PM

مقدمة

يريد الآباء الأفضل لأطفالهم، في حين يريد المربون النجاح لطلابهم. وفي كلتا الحالتين، يتبادر إلى ذهن كلٍّ من الوالدين والمعلّمين تساؤلات عدّة عمّا يمكن عمله في البيت والمدرسة لتعزيز مواهب الأطفال والمراهقين.

تُزوِّد مجموعة الممارسات الآتية، القائمة على البحوث، العائلات والمدارس بالمعلومات العملية التي يمكن للآباء والمربين العمل بناءً عليها.

إنّ التسعة والعشرين أسلوباً الواردة في هذا الكتاب هي نتيجة أبحاث تربوية شاملة واسعة النطاق، تناولت الأساليب الناجعة للتعامل مع الشباب الموهوبين. وقد عُزِّزت هذه الممارسات –التي اختيرت للدراسة– باستقصاء منهجي، وإثباتات مستمدة من البحوث. إلّا أنّ عرضها في هذا الكتاب لا يُمثِّل صورة كاملة وافية لكيفية تطوير مواهب الشباب من ذوي القدرات العالية، وإنّما يُمثِّل توصيات لإجراءات محدّدة يمكن للآباء والمعلّمين الاسترشاد بها في أثناء تربية الموهوبين وتعليمهم.

نُظِّمت هذه الممارسات التي يُمثِّلها جدول 1 في ثلاثة أقسام، هي: البيت، وغرفة الصف، والمدرسة. وإلى حدّ ما، فإنّ هذه الأقسام ليست منفصلة عن بعضها بعضاً؛ فكثير منها مشترك بين البيت والمدرسة. ومع ذلك، فإنّ البحث يُركِّز غالباً على جانب واحد أكثر من تركيزه على الجوانب الأخرى؛ ما يُفسِّر سبب وضع كلّ ممارسة في القسم الذي يُحتمَل حدوثها فيه.

قُسِّمت هذه المراجعات إلى أربعة أقسام؛ أولها: ذكر فقرة موجزة تُمهِّد الطريق للمراجعة. وثانيها: عرض مادة البحث في قسم «ما الذي نعرفه؟». وثالثها: التوصيات أو الإجراءات المستمدة من البحوث الواردة في قسم «ما الذي يمكننا فعله؟». ورابعها: عرض قائمة بالمراجع في نهاية كلّ مناقشة، علماً بأنّه لا يوجد تداخل بين الممارسات جميعها؛ إذ يستطيع قارئ هذا النص تصفُّح الممارسات مثل أيّ قارئ لمجموعة من القصص القصيرة.

.indd 9 5/7/14 5:04 PM

وممّا يدل على أهمية البيانات التي تضمنتها الممارسات المذكورة آنفاً، تنظيم القائمين على برنامج «جافيتس للطلاب الموهوبين والنابغين»، التابع لوزارة التعليم الأمريكية (Javits Gifted and Talented Students Program) اجتماعاً لأحد فرق التوجيه، ضَمَّ عدداً من

جدول 1

الممارسات الخاصة بالطلاب الموهوبين، المعزَّزة بالبراهين والأدلة.

البيت	غرفة الصف	المدرسة
مشاركة الوالدين.	تشجيع الإبداع.	منهاج الرياضيات.
التكيّف الاجتماعي– الوجداني وعلاقات الأقران.	الذكاءات المتعدّدة.	الآداب في المنهاج.
الطلاب ثنائيو الحاجات.	مستويات التفكير العليا.	تعلّم لغات عدّة.
الفروق بين الجنسين (الجندر/ النوع الاجتماعي)	التعلّم والتعليم القائمان على الاستقصاء.	التعليم المهني.
تنمية مواهب معيَّنة.	ضغط المنهاج.	البرامج المدرسية.
تعليم القراءة والكتابة المبكر للقرّاء المبتدئين ومبكّري النضج.	التجميع المرن.	التسريع.
الموجِّهون والتلمذة.	تكنولوجيا التعليم.	المعايير المتعدّدة لتعرُّف الموهبة.
البرامج المستندة إلى الجامعة.	استخدام مصادر التاريخ الأولية.	تطوير مواهب الطلاب ذوي الأصول الثقافية المتنوعة.
	تدريس فنون اللغة.	الطلاب الموهوبون من المجتمعات المحدودة الدخل.
	تعليم القراءة.	تنمية المعلّمين مهنيّاً.
	العلوم في الغرفة الصفية.	

الممارسين والأكاديميين؛ بغية تحديد أفضل الممارسات التي تهم المعلّمين، وتلك التي تحظى بدعم من البحث العلمي. وقد مثّل هذا الفريق خبراء من: وزارة التعليم العالي، ووزارات التربية في الولايات الأمريكية المختلفة، ومناطق الخدمة التعليمية الإقليمية، والمناطق التعليمية المحلية. فضلاً عن ثلاثة رؤساء تحرير (أو رؤساء تحرير سابقين) لدوريات تُعنى بقضايا تعليم الطفل الموهوب. وضم فريق التوجيه ممثلين عن اثنتين من المقاطعات، وإحدى عشرة ولاية أمريكية، ومقاطعة واحدة، والجامعات، ووزارة الخارجية، ومدارس المقاطعات.

يسترشد الإطار العام للمشروع (المدرج هنا) بأهمية ربط الأدلة التجريبية بقلق أولياء الأمـور والممارسين وصنّاع القرار؛ إذ غالباً مـا اقترن هذا الارتباط بين البحوث والممارسة بالإحبـاط الظاهر علـى مُحَيّا الباحثين والممارسين وصنّاع القرار علـى حدّ سواء. لذا، فإنّ نصّ هذا الإطار يسعى إلى سدّ هذه الفجوة.

ولأنّ هذا النص قد كتب أصلاً للقارئ العادي؛ فقد طُلِب إلى الخبراء المجتمعين إعداد قائمة من الأسئلة تُعنى بتطوير الموهبة والإبداع، والشباب ذوي القدرة العالية، التي يعتقدون أنّها تهم القارئ العادي. كما شُجِّعوا في المرحلة الأولى من المشروع على اقتراح أسئلة تهمهم، بوصفهم خبراء في تنمية المواهب. وقد طرحوا ثلاثة أسئلة عامة، هي:

ما الأسئلة المتعلقة بالممارسات التربوية والأسرية الفاعلة للشباب الموهوبين التي يمكننا الإجابـة عنها؟ كيـف يمكن صياغة هذه الأسئلة على نحوٍ يُحقِّق أكبر فائدة للممارسين؟ كيف تثري البحوث الحالية هذه الأسئلة العلمية؟

بدايـةً، وضع الخبراء لذلك 150 سؤالاً، ثمّ تولَّـت مجموعات صغيرة منهم توضيح هذه الأسئلة، ودمجها، واختيار أكثرها أهمية. فضلاً عن اقتراح البحوث الداعمة لها.

فـي المرحلة الثانية، اجتمع موظفو برنامج «جافيتس» والكتّاب الثلاثة الذين تولّوا صوغ الأسئلة، لترجمتها على نحوٍ يُسهِّل عملية البحث الإلكتروني. وقد تُرجِمت هذه الأسئلة إلى 61 مصطلحاً، وبُحِثت إلكترونيّاً باستخدام برنامج (ERIC)، و(PSYCHINFO).

أظهرت نتائج البحث أنّ 31 مصطلحاً من مجموع هذه المصطلحات، قدّمت معلومات بحث تجريبي تكفي لإبقاء كلٍّ منها في مجموعة الممارسات التي ستجري مراجعتها. وفي أثناء مرحلة الكتابة، دُمِجت ممارستان في المراجعات الأخرى بسبب التداخل أو توافر الدليل البحثي ذي الصلة، فأصبح عدد الممارسات النهائي 29 ممارسة. على سبيل المثال، أُعِدَّت دراستا **التكيّف العاطفي وعلاقات الزملاء** بصورة منفصلة، ولكنّهما روجعتا معاً؛ لأنّهما تُكمِّلان بعضهما بعضاً. وفي التنقيحات اللاحقة، دُمِج **التسكين المتقدّم** (*advanced placement*) في **التسريع** (*acceleration*)، وسعى الكتّاب إلى الحصول على الدراسات ذات العلاقة، بالإضافة إلى عمليات البحث الإلكترونية. وبوجه عام، تُركِّز المراجعات على الدراسات البحثية التي تناولت الشباب الموهوبين، والدراسات التي استقصت أنواع النتاجات التعليمية المهمة لتنمية المواهب. وتؤكد هذه النتائج على مستويات التفكير العليا والمناهج الدراسية الصعبة.

أمّا المرحلة الثالثة فتضمّنت دراسة البحوث، وإعداد مسوّدة بالممارسات التي وُزِّعت على أعضاء فريق الصياغة. وقد مثَّل النص الناتج مجموعة من 29 ممارسة منفردة مبنية على البحوث التجريبية، تُوفِّر توجيهات محدّدة للمعلّمين وأولياء الأمور وصنّاع القرار بخصوص الممارسات الناجحة مع الشباب الموهوبين.

امتازت الممارسات في هذه المجموعة بالتنوّع، وعكست العديد من الاهتمامات في مجال تربية الموهوبين، بما في ذلك: إسهام أولياء الأمور في تعزيز عملية تعلّم أطفالهم، والاهتمام بالطلاب الموهوبين من ذوي الأصول الثقافية المتنوعة وذوي الدخل المحدود، ووسائل تعرُّف المواهب، والحاجة إلى المناهج الدراسية التي تتحدى الشباب النابغين. وعكست مراجعة الممارسات الفردية تعدُّد وجهات النظر في هذا المجال.

يتجلّى هذا التنوّع في أوضح صوره في استعمال المصطلحات لوصف مجتمع المستفيدين: الموهوبين، والنابغين، وذوي القدرات العالية، والطلاب الواعدين (gifted, talented, high-ability promising learners) وقد أوردنا هذه المصطلحات جميعها، واستخدمناها مترادفة. وفي المقابل، فإنّنا نقدّر عالياً جهود المنظِّرين الذين يعالجون قضايا المصطلحات؛ لأنّ من شأن هذه الجهود أن تدفع بهذا الميدان إلى الأمام، لكنّنا -بوصفنا

معلمين- نحتاج إلى أفضل مشورة عملية متوافرة، علماً بأنّنا أخذنا مادة البحوث كما وجدناها، ثـمّ بحثنـا فيها عن «القصة» التي يمكـن أن تحكيها لنا. وممّا لا شك فيـه أنّ هذا الكتاب لن يجيـب عن كلّ سؤال يطرحه أولياء الأمور أو المعلّمين عمّا يناسِب الشباب الموهوبين، ولكنّه يُمثِّل بداية رحلة طويلة في عالم الموهوبين.